

الاستقما لأخبار دول المغرب الأقصى

@ 115 @ السلطان أبو سعيد رحمه الله سنة ست عشرة إلى طنجة لاختبار طاعة أبي زكرياء فبان له صدقه وعقد له على سبته واشترط هو على نفسه حمل الجباية إلى السلطان وإسداء الهدية في كل سنة واستمر الحال على ذلك إلى أن هلك أبو زكرياء سنة عشرين وسبعمئة وقام بالأمر بعده ابنه محمد بن أبي زكرياء إلى نظر ابن عمه محمد بن علي بن الفقيه أبي القاسم شيخ قرابتهم وكان قائد الأساطيل بسبته ولي النظر فيها بعد أن نزع القائد يحيى الرنداحي إلى الأندلس وتغلب محمد بن علي هذا بسبته واختلفت كلمة الغوغاء واضطرب الأمر على بني العزفي بها .

فانتهر السلطان أبو سعيد الفرصة فيها وأجمع النهوض إليها فنهض سنة ثمان وعشرين وسبعمئة ونزل عليها فبادر أهل سبته بإيتاء طاعتهم وعجز محمد بن أبي زكرياء عن المناهضة وطنها محمد بن علي من نفسه فتعرض للأمر في أوغاد من ليفها اجتمعوا إليه فدافعهم الملاً من أهل سبته عن ذلك وحملوهم على الطاعة واقتادوا بني العزفي إلى السلطان أبي سعيد فانقادوا إليه واحتل السلطان بقصبة سبته وثقف جهاتها ورم مثلما واصلح خللها واستعمل كبار رجالاته وخواص مجلسه في أعمالها فعقد لحاجبه عامر بن فتح الله السدراتي على حاميته وعقد لأبي القاسم بن أبي مدين العثماني على جبايتها والنظر في مبانيتها وإخراج الأموال للنفقات فيها وأسنى جوائز الملاً من مشيختها ووفر إقطاعاتهم وجراياتهم وأوعز ببناء البلد المسمى أفراك على سبته فشرعوا في بنائها سنة تسع وعشرين وسبعمئة وانكفأ راجعاً إلى حضرته وقد ذكر ابن الخطيب في كتاب الإكليل محمد بن أبي زكرياء هذا فقال فيه ما صورته فرع تأود من الرياسة في دوحة وتردد بين غدوة في المجد وروحة نشأ والرياسة العزفية تعلو وتنهله والدهر ييسر أمله الأقصى ويسهله حتى اتسقت أسباب سعده وانتهت إليه رياسة سلفه من بعده فألقت إليه رجالها وحطت ومتعته بقربها بعد ما شطت ثم كلح له الدهر بعد ما تبسم وعاد زعزعا نسيمه الذي كان تنسم وعاق هلاله عن تمه ما كان من تغلب ابن عمه واستقر بهذه البلاد نازح الدار بحكم الأقدار وإن كان نبيه المكانة